الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban
B. P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

*

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ـ بناية مروة

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في أميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا
الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات
يتفق بشأنها مع الادارة

كنت متعبا مستوحشا اضيق بالظلمة الهابطة التي راحت تتجمع في نفسي ، حين عدت السياب بعد يومين من دخوله مستشفى الجامعة . لقيت عنده الطبيب ، وكان من طلابي السابقين ، سألته عن حال الشاعر ، فابتسم وابتسمت وقال : « ضعف بسيط في العصب » . فاجبته: « هذا مرض الشعراء ، كلهم يشكون ضعف العصب ، وارتجاج العصب » . وفي غفلة من المريض دعاني الطبيب بايماءة سريعة الى مكتبه . وهناك اخبرني ان بدر مصاب بشلل بطيء ، لا علاج له ، سوف يمتد من اسفل الى اعلى ، ولكنه لن يؤثر في قواه العقلية ، وسوف يظل عقله يعمل ورأسه يتحرك الى النهاية .

رجعت الى بدر ، فراح يحدثني عن مشاريع يحلم بتحقيقها بعد ان يتعافى . كنت اوافق على كل ما يقترح. قصرت الزيارة قدر الامكان ، وانصرفت افكر ببدر،بالشاعر الميت ، وبالشعر والتسهرة ، والباطل والعدم .

وادركت ان بدر عرف طبيعة مرضه ، وعرف مصيره، حين راح يرسل من لندن وباريس تفجعات المحتضر يواجه هول الموت ، وتفجعات الميت يرثي نفسه من وراء القبر . تراه اراد ان يضمن صوتا يتعالى بالرثاء على قبره بين صرير الاقلام النهاشة التي نغصت عليه حياته ، وقد تنغص عليه صمت القبر وراحته .

عند سرير السياب

بقلم الدكتور خليل حاوي

غير ان بدر كاد يألف صحبة الموت ويعريه من هوله، فيعابثه احيانا ، ويهز في وجهه « شناشيل بنت الجلبي » .

وطالما تذكرت ما تمناه هنري ملر : « ان يصاب بمرض يقعده عن العمل دون التأمل فيتوفر له الفراغ المطلق اللازم لنتاج الفكر والفن » . وقد وفر المرض للسياب هذا الفراغ . وكأنه حين احس باختصار العمر توهجت عبقريته واخصبت واعطت مواسمها دفعة واحدة ، وفي فصل واحد ، اعطت ما تقصر عنه الفصول في عمر طويل. والشاعر الحق لا يلتفت الى امتداد ايامه ولياليه ، وعافية اعصابه ، وقد وقف هذه جميعا على الشعر ، واصبح همه ان يحولها الى اثار شعرية . لقد نذر من بطن امه ، وبفعل موهبته ، لان يتعمد بالنار ، فيتوهج وينطفىء ، يكون مطوبا وملعونا .

غير ان كثيرين من الشعراء وعوا كمال الشعر بخيالهم ، واتساع الفجوة بين مثال القصيدة في النفس ونسختها المشوهة على الورق ، فتعالت شكواهم : « العمر هارب والفن طويل » . كأن معجزة الكمال في الشعر تقتضي معجزة تحرر الشاعر من سياط الزمن فتزيد في عمره أعمارا .

ويجدر ان اشير ، قبل التعرض لشعر السياب،اني فيما اقول ، اعبر عن انطباع ، وليس عن معاودة نظر ودراسة . واعتقد ان ذروات نتاجه في المرحلة الاولىمن تطوره تنهض الى مرتبة الشعر العظيم وتمثل الكثير من صفاته. لقد وعى ازمات الانسان في عصره وبيئتهوعي تجربة ورؤيا وثقافة معتدلة لم تصبه بعسر الهضم فتقتل فيه عامل الفطرة ، عامل الاتصال بالينابيع والحقائق الاولية . وهذا الاتصال يمد الشاعر بمعيار اصيل للفصل بين الحي والمتحجر من عناصر الحضارة ، ويوليه ثقة المصلح في الثورة على تعقيداتها المفتعلة . وكان في الجمع بين الفطرة والثقافة يعبر عن تراث عريق ونزعة اصيلة في النفس العربية وجدت ، قديما ، في شعر المتنبي خير تعبير عن ذاتها فرفعته فوق الشعراء الذين افسدت الحضارة فطرتهم امثال ابي نواس وابن الرومي .

لقد تكشفت للسياب ازمات الانسان في عصره وبيئته عن حقيقتها فكانت ازمات سياسة واجتماع وحضارة، وليست ازمات دينية او فردية كما كانت ، على الغالب ، في العصور السالفة .

وكانت واقعيته نفاذا عبر الواقع اليومي والاحداث الطارئة الى حقائق النفس والوجود التي ترتفع بالطارىء والعابر الى مستوى البقاء الدائم . فلو نظرنا ـ مثلا ـ في « المومس العمياء » و « حفار القبور » لوجدنا ان شخصية كل منهما تشف عن نموذج كلي وتتحد به. وبهذا تكون واقعيته بلغت من العمق ما يحولها الى رمزية ، وافترقت عن الواقعية المسطحة التي تنسحب خلف الحدث وتنطوي مع المرحلة . وتتمثل الاخيرة في الالتزام الشيوعي .

ولئن كان السياب من الرواد الذين حققوا منعطفا كبيرا في سير الشعر العربي ، فان ذلك لا يعود الى موقفه من ازمات العصر فحسب ، بل الى ثورة في الصياغة لم تكن ممكنة لو انه لم يشح منذ البدء عن الجمالية الشكلية التي دعا اليها سعيد عقل ، ولم يتحرر الى مدى بعيد من غنائية محمود طه ، ولم يحاول ان يبدع قاموسا شعريا مستمدا بجملته من مصدر بكر ، من طبيعة تجاربه،ويطوع الاوزان فيجعل وحدة الشعر الايقاع المرتبط بالحالة الداخلية التي تنساق في موجات ينتهي بعضها عند مقطع ويمتد بعضها الى مقاطع دون ان تبترها وقفة مغصوبة عند وحدة البيت والقافية .

اما المرحلة الثانية فنحن نعرف منها الظواهر دون الاسباب الموجبة . لقد ظل محافظا على التزامه الحر النابع من داخل ، متمسكا باصالته العربية ، مشددا على صفاء اللغة من العجمة . لكن شيئا قد تهدم من التراث الذي بنته تجارب العمر في نفسه ، فارتجت خطوطه وتزلزل عالمه فاصبحت تجاربه آنية واصبح شاعر صنعة يحتفل بالرصف والصقل والترنح . وكأنه يحاول ان يخفي فقر المضمون في شعره بتألق الشكل وبريقه . وفي هذه المرحلة كان تأثره السلبي ، بدون مقاومة او تمثل،بالاسطورة في الشعر الحديث . فكانت ترد في شعره على سبيل التشبيه والتلوين والسرد فتوقعه في آفة الافتعال والتقرير والوصفية . وهذا ما صرحت به في مقابلة اجراها معي منذ سنوات الاستاذ هنري جاماتي . ولئن كنت لم اجامل السياب في حياته فاني لن اكذب اليوم على قبره . فليس ما اقوله رثاء تقليديا يمتدح الميت ويذكر فضائله وحدها .

وفي المرحلة الثالثة والاخيرة استرد السياب اصالته بالتعبير الصادق عن احتضاره ، وكأنه وعى ان من ازمات المصير ما يتخطى السياسة والاجتماع والحضارة، فيخرج الانسان من دفء هذه الجدران الواقية ، ويدفعه وحيدا عاريا الى صحراء تتكاثف فيها الظلمات وتلتمع الصواعق(١)

خليل حاوي

---

(١) وتبقى صلة السياب بجماعة « شعر » ، ويقتضي الضمير مني بان اصرح : انه خالط الجماعة ولكنه لم يندمج بهم ، ولم يعرف عنه الاتصال بالسفارات وخدمة الاغراض المشبوهة . وقد انفصل عنهم وثار عليهم يوم تكشفت له نياتهم ومخازيهم . فعل ذلك وهو مريض مقعد في فندق سانت بول ، راس بيروت ، ولا طمع له سوى اظهار الحقيقة .

وقد منع السياب طيب سجيته ان يسلك مع « الجماعة » جانب الحذر والاحتراس ، فاستغلوا عروبته ليجعلوا منها جوازات سفر الى الاسواق العربية . واليوم يحاول صبيهم الارعن الذي اعتاد نهش الكبار بعد موتهم ، ان يكشف عن عورات السياب وكان يغدق عليه المديح ويحرق له البخور في حياته .

(خ.ح)

صدر عن دار الاتحاد

الفعالية الثورية في النكبة

للدكتور نديم البيطار

المحاولة الاولى من نوعها في دراسة نكبتنا في فلسطين على صعيد نظري ثوري يفسرها على ضوء التاريخ وبالاعتماد على احدث ما توصلت اليه العلوم الاجتماعية من نتائج نظرية وفلسفية .

الثمن ٣٠٠ ق. ل.

دار الاتحاد للطباعة والنشر

ص. ب ٢٢٥٩ هاتف ٢٩٣٩٤٥ ـ بيروت